



إبَارَشِيَّة جَنُوبِي الْوَلَايَاتِ الْمُتَّحِدَةِ الْآمَرِيكِيَّةِ الرَّسَالَةُ الشَّهْرِيَّةُ لِلرَّهْبَانِ وَالرَّاهِبَاتِ وَالْمُكْرَسِينَ وَالْمُكْرَسَاتِ يُولْيُو ٢٠١٦

أبنائي الأُحْبَاءُ،

أود أن أقص على مسامعكم قصة حقيقية...

منذ وقت ليس ببعيد، وأثناء زيارتي لإحدى الكنائس، دخلت إلى تلك الكنيسة لإقامة القداس الإلهي، فصادفت واحداً من أغرب المواقف. فأتثناء سيرتي نحو المذبح المقدس، وأثناء إنشاد بعض الشمامسة للألحان، لاحظت أن بعضهم كان يتكئ على جدار المذبح، و لاحظت أيضاً أن معظم أعضاء شعب الكنيسة جلوسٌ، وليس جلوسٌ فقط، بل كان البعض يُمدِّدون سيقانهم عبر المقاعد الخشبية للكنيسة، أيضاً لاحظت أن النساء في الكنيسة لم تكن شعور رؤوسهن مغطاة، وكان البعض يسير بين مقاعد الكنيسة مستغرقين في الأحاديث. بل أعتقد أيضاً أنني قد رأيت أحدهم يأكل! ثم عندما حان وقت ارتداء ملابس الخدمة، وجدت معظم الشمامسة ساجدين في أركان الهيكل و مستغرقين في النوم.

هل صُدمتم معي بما يكفي؟ ... بالرغم من أن هذه القصة حقيقية، إلا أنها لم تحدث لي من قبل في أية كنيسة من الكنائس التي زرتها، ولكن، ولسوء الحظ، فهي تحدث أحياناً عندما نأتي للصلاة. يفي هذا بالغرض لنقول أن رسالة هذا الشهر تتناول الدرجة الثالثة عشرة من كتاب "السُّلْمُ إِلَى اللَّهِ" عن "الضَّجْر".

يقول القديس يوحنا الدرجي: "في أوان الضجر يُعرف الغاضبون، إذ ليس شيء يسبب للراهب الإكليل مثل ظفره بالضجر"^(١). إذا ما سارعنا بالتوبة، فسيقوينا الله، وسوف نستطيع العودة مرة أخرى إلى أرض المعركة، ومع ذلك فإن العكس أيضاً صحيح. فإذا تخلينا عن القتال، ووضعنا الحذر جانباً، حتى ولو للحظة، سوف نجد أنفسنا جرحى على الفور. مضروبين بسهم الضجر، ونظل نعاني من آثاره.

إذن كيف يمكننا منع حدوث ذلك؟

دعونا أولاً نناقش بعض المُسَبِّبَاتِ والآثار، ثم بعد ذلك يمكن أن نرى: كيف يمكننا أن نتغلب على الضجر عند مواجهتنا له؟

يذكر الدرجي إكثار الكلام، وعدم الطاعة، ونسيان الخطايا السالفة، ورتاء الذات، والتراخي في العمل كأسباب محتملة للضجر. أعتقد أننا لو نظرنا إلى جوهر المشكلة، فسوف نجد أنه في كل حالة من هذه الحالات يكون الراهب قد حاد عن الهدف الذي خرج من أجله. وإذا ما سلك الراهب في هذه السلوكيات السابقة الذكر، يكون بلا شك قد نسي لماذا ترك العالم وذهب إلى الدير.

أين الوقت في يوم الراهب لللغو أو للكلام الذي لا يفيد؟! ما الذي يدفع راهبٍ ما لعدم طاعة الشيوخ والذين يسبقونه؟! أو الإلقاء باللوم على الآخرين؟ أو الحزن بسبب التجارب والضيقات؟! أو أن يصبح غير أمين في عمله؟! ... بالتأكيد يكون قد نسي كل تلك الغيرة والحماسة التي كانت لديه، وكل العهود التي أخذها على نفسه عند بداية دخوله الدير. فيصبح بعيداً عن

(١) القديس يوحنا الدرجي، السُّلْمُ إِلَى اللَّهِ، الدرجة الثالثة عشرة: الضَّجْر (دير السيدة العذراء - السريان، ٢٠٠٩) ص ١٧٥.

أن يكون مثلاً للاتضاع، والطاعة، والمحبة، ويصبح الآن كناشط في مجال المطالبة بالحقوق. كثيراً ما ينادي بالعدالة، ويشتكي من الآخرين، ويطالب بكل ما يناسب احتياجاته. إذا كان هذا الراهب الجريح الآن بطيء في القيام والتوبة، فستبدأ عواقب الضجر المُصاب به في الظهور. هذا الراهب الجريح يكون أول من يتدمر؛ وأول من يطالب بالعدالة؛ وأول من يُقَلَّل من شأن الآخرين.

يبدو عليه أنه لا يقنع أبداً بما عنده، ويتصرف بطريقة سلبية وتمرّدة ضد السلطة والنظام. وتتكشف معاناة هذا الراهب الجريح عن طريق: "إهمال النسك"^(٢)؛ وتطويب أهل العالم^(٣)؛ وفتور في التزمير؛ وضعف في الصلاة. والضاجر حديدي في الخدمة الخارجية [...]. وغير مستعد للطاعة"^(٤). ومع ذلك فإن الخبر السار بالنسبة له هو أنه "حيث لا تزمير، لا يظهر ضجر"^(٥).

يقول الدرجي: "في الساعة الثالثة، يُحدِث شيطان الضجر قشعريرةً، وصداعاً، وحتى مغصاً، وعندما تقترب الساعة التاسعة يستشعر بقليل من العافية، فإذا أُعدت المائدة قفز من فراشه. لكن حين تحين ساعة الصلاة يثقل الجسم من جديد. إذا وقف في الصلاة يعيصبه في النوم، ويخطف الآية من فمه بتأؤب في غير أوانه وبغير سبب!"^(٦). ويقول أيضاً: "تأملهُ (شيطان الضجر)، تلاحظ أنه عند وقوفك يحثك على تغيير وضع قدميك، وإذا جلست يقترح عليك بأن تستند إلى الحائط، ثم إذ يُسمعك جلبةً وإيقاع أقدام يأمرك بالاستشرف من النافذة"^(٧). الراهب المتسلح يستطيع تمييز الضجر عندما يهاجمه، فعلى الرغم أننا "عندما نصلي يذكّرنا بأعمال ضرورية. ويحتال الأحمق بكل حيلة ليجد حجة معقولة ليسحبنا من الصلاة"^(٨). لكن الراهب المجاهد لن يتخلّى عن موقعه البتة. وبالرغم من أنه قد يشعر بثورة الأهواء والأوجاع في داخله، وبروح التمرد تدفعه إلى السلوك بطرق لا تليق براهب، لكنه يحارب ضدها. عندما تقول له تلك الأهواء: اجلس، يقف منتصباً؛ عندما تقول له: تمرّد، يزداد خضوعاً؛ عندما تدّعي الظلم، يتذكر خطاياها؛ عندما تقترح عليه التأجيل، يقوم بالعمل على الفور... المقاتل الحقيقي يعلم أن قوّته إنما تكمن في الله، ولا يمكن هزيمته أبداً ما دام الله معه.

وعندما سألنا هذا المغتصب المستبد: "ومن يستطيع أن يقتلك؟"

أجابنا مُكرهاً: "المطيعون الحقيقيون ليس لي عندهم مكان أسند إليه رأسي؛ لكني أجد موضعاً عند الذين يمكنني أن أعيش معهم في السكون أمهاتي كثيرات، أحياناً يلدني زوال حس النفس، وأحياناً زوال تذكر النعم العلوية، وربما تلدني زيادة الأتعاب. أولادي المقيمون معي هم الانتقال من الموضع، وعدم إطاعة الأب الروحي، ونسيان المحاكمة الأخيرة، وأخيراً نقض العهد. أما اللذان يقاومانني وقد قيداني الآن، فهُمَا التزمير وعمل اليدين. عدوي هو فكر الموت. أما التي تلاحيني تماماً فهي الصلاة بالرجاء الثابت في الخيرات العتيدة"^(٩).

"هذه غلبة ثلاثة عشرة: من نالها حقاً، فقد صار في كل صلاح متمرساً مختبراً"^(١٠).

ليكن سلام ومحبة ربنا يسوع المسيح مع جميعكم.

والمجد لله إلى الأبد. آمين.

(٢) القديس يوحنا الدرجي، السُّلَّم إلى الله، الدرجة الثالثة عشرة: الضجر (دير السيدة العذراء - السريان، ٢٠٠٩) ص ١٧٣.

(٣) المرجع السابق ص ١٧٣. (٤) المرجع السابق ص ١٧٣. (٥) المرجع السابق ص ١٧٥.

(٦) المرجع السابق ص ١٧٤. (٧) المرجع السابق ص ١٧٥. (٨) المرجع السابق ص ١٧٤.

(٩) المرجع السابق ص ١٧٥. (١٠) المرجع السابق ص ١٧٦.